سلسلة السيرة العلوية الشريفة

2

الإمام علي (ع)

الفداء الأكبر

الأعلمي الصغير



كَبُرَ عَلِيٌّ (ع) في حِضْنِ النَّبِيِّ (ص)، فَتَيَسَّرَ لَهُ ما لَمْ يَخْتَصَّ اللهُ بِه فَرداً عَلى الأَرْضِ سِواهُ.

وَحْدَهُ مِنْ بَينِ البَشَرِ جَميعاً يَعيشُ في حِجْرِ مُحَمَّدٍ (ص)، يَنْهَلُ العُلومَ الإِلهيَّةَ وَيَسْتَوْعِبُها بِعَقْلٍ فَذٍّ حَباهُ بِهِ اللهُ تَعالى، وَقَدْ شَاءَ لَهُ أَنْ يَكونَ أَبا الأَئِمَّةِ وَخَليفَةَ النَّبِيِّ (ص) وَوَزيرَهُ وَوَصِيَّهُ وَوالِدَ ذُرِّيَّتِهِ.

وَراحَ النَّبِيُّ (ص) يَسرُدُ عَلى مَسامِعِ عَلِيٍّ (ع) ذِكْرَياتِ طفولَتِهِ، يَوْمَ كانَ في الثّامِنَةِ مِنْ عُمرِهِ بَعدَ وَفاةِ جَدِّهِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، إِذْ حَمَلَهُ عَمُّهُ أَبو طالِبٍ إِلى بَيْتِهِ، وَضَمَّهُ إِلى عِيالِهِ، وَراحَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ يَسْهَرانِ عَلى خِدْمَتِهِ وَراحَتِهِ وَيُفَضِّلانِهِ عَلى أَوْلادِهِما جَميعاً.

وَحينَ كَبُرَ النَّبِيُّ (ص) وَبَلَغَ سِنَّ الزَّواجِ، عَمِلَ أَبو طالِبٍ كُلَّ ما في وُسْعِهِ لِيَخْطُبَ لَهُ أَشْرَفَ سَيِّدَةٍ مِنْ سَيِّداتِ بَني هاشِمٍ وَقُرَيش، لِتَقَرَّ عَيْنُهُ وَهُوَ يرى ابْنَ أَخيهِ يُنْشِئُ أُسْرَةً وَعائِلَةً، فَكانَ لَهُ بِمَثابَةِ الأَبِ الَّذي ظَلَّ يَتَعَهَّدُهُ بِالْمَحَبَّةِ وَالعَطْفِ رَغْمَ ما كانَ يُلاقيهِ مِن عَداءِ أَهْلِ قُرَيْشٍ بِسَبَبِ ذلِكَ.



بَلْ إِنَّهُ كانَ يُنْشِئُ أَبْنَاءَهُ على حُبِّ مُحَمَّدٍ (ص) وَيُشَجِّعُهُمْ على الدِّفاعِ عَنهُ، وَافتِدائِهِ كُلَّما لاحَ حَوْلَهُ الْخَطَرُ.

وَلَقَدْ أَقْبَلَ مَرَّةً فَرَأَى النَّبِيَّ (ص) وَعَلِيّاً (ع) يُصَلِّيانِ، وَعَلِيٌّ(ع) على يَمينِ النَّبِيِّ (ص). فَقالَ لابْنِهِ جَعْفَرٍ: «صِلْ جَناحَ ابْنِ عَمِّكَ، وَصَلِّ عَنْ يَسارِه».

فَقامَ جَعْفَرٌ إِلى جَنْبِ عَلِيٍّ (ع)، فَأَحَسَّ النَّبِيُّ (ص)، فَتَقَدَّمَ عَلَيْهِما، فَأَكْمَلُوا الصَّلاةَ جَميعاً، وَقَدِ ارْتَسَمَتْ على ثَغرِ أَبي طالِبٍ ابْتِسامَةُ الرِّضا.

وَلَطالَمَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنا أَبي طالِبٍ بِالدُّموعِ، كُلَّما حَدَّقَ في وَجْهِ ابْنِ أَخيهِ النَّبِيِّ (ص) إِذْ يَتَذَكَّرُ أَخاهُ عَبْدَ اللهِ، الَّذي كانَ أَخاهُ لأَبَوَيْهِ، فَيَخافُ عَلَيْهِ وَهُوَ الأَمانَةُ الَّتي تَرَكَها وَخَلَّفَها بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَلِشِدَّةِ خَوْفِ أَبي طالِبٍ عَلى مُحَمَّدٍ (ص)، كانَ يَأْتيهِ حينَ يُريدُ النَّوْمَ، فَإِذا كانَ مَكانُ نَوْمِهِ مَعْروفاً، نادى أَبو طالِبٍ ابْنَهُ عَلِيّاً، وَأَضْجَعَهُ مَكانَ ابْنِ عَمِّهِ. وَفي لَيْلَةٍ قالَ عَلِيٌّ (ع) لأَبيهِ: «يا أَبَتِ إِنِّي مَقْتُول».



فَـــراحَ أَبو طالِبٍ يُشَجِّعُهُ عَلى الصَّبْرِ وَفِداء النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ص) وَهُوَ الأَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ بَينِ كُلِّ النّاس، فَكانَ عَلِيٌّ (ع) يُعاهِدُ أَباهُ عَلى ذلِك، وَأَنْ يَكونَ لأَبيهِ مُطيعاً مَدى الْحَياةِ في نُصْرَةِ ابْنِ عَمِّهِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ص).

نَعَمْ. إِنَّ أَبا طالِبٍ يَعْلَمُ جَيِّداً ما سَوْفَ يَمُرُّ عَلى ابْنِ أَخيهِ من أَهوالٍ وَمِحَنٍ وَهَذا هُوَ حالُ الأَنْبياءِ، ولَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يَكونَ قُدْوَةً لأَبْنَائِهِ في الدِّفاعِ عَنِ النَّبِيِّ (ص)، إِذْ خَرَجَ النَّبِيُّ (ص) مَرَّةً إِلى الكَعْبَةِ، وَأَرادَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَلَمّا دَخَلَ في الصَّلاةِ، قالَ أَبو جَهْلٍ: «مَنْ يَقومُ إِلى هذا الرَّجُلِ فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ صَلاتَهُ؟». فقامَ رَجُلٌ اسْمُهُ عَبدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَى، وَحَمَلَ بَعْضاً مِنْ فَرْثٍ وَدَمٍ وَلَطَّخَ بِهِ وَجْهَ النَّبِيِّ (ص) الشَّريفِ، وَحينَ جاءَ النَّبِيُّ (ص) إِلى عَمِّهِ قالَ لَهُ: «يا عَمُّ! أَلاَ تَرى إِلى ما فُعِلَ بي؟».

فَقالَ أَبو طالِبٍ: «مَنْ فَعَلَ هذا بِكَ؟».





فَقالَ النَّبِيُّ (ص): «عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَى».

فَقامَ أَبو طالِبٍ حامِلاً سَيْفَهُ، وَمَشى حَتّى وَصَلَ إِلى الْقَومِ.

وَما أَنْ رَأوهُ مُقْبلاً نَحْوَهُمْ حتّى راحوا يَنْهَضونَ.

فَصاحَ بِهِمْ أَبو طالِبٍ: «وَاللهِ لَئِنْ قامَ رجُلٌ لَجَلَّلْتُهُ بِسَيْفي».

فَقَعَدَ الجَميعُ. حَتّى قالَ أَبو طالِبٍ: «يا بُنَيَّ، مَنِ الفاعِلُ بِكَ هذا؟».

فَقالَ (ص): «عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَى».

فَأَخَذَ أَبو طالِبٍ فَرْثاً وَدَماً، وَلَطَّخَ بِهِ وُجُوهَهُمْ وَلِحاهُمْ وَثِيابَهُمْ.

هذِهِ هِيَ التَّرْبِيَةُ الَّتي نَشَأَ عَلَيْهَا عَلِيٌّ (ع)، وَما تِلْكَ إِلاّ أَحْداثٌ يَسيرَةٌ جِدّاً تَدُلُّ عَلى مَوْقِفِ أَبي طالِبٍ مِنْ نُبُوَّةِ ابْنِ أَخيهِ (ص)، ما زرَعَ في قَلْبِ عَلِيٍّ (ع) حُبّاً مُنْقَطِعَ النَّظيرِ لابْنِ عَمِّهِ النَّبِيِّ (ص)، وَعَزْماً أَكيداً عَلى بَذْلِ كُلِّ شَيْءٍ في سَبيلِ نَشْرِ رِسالَتِهِ، وَنُصْرَةِ دينِهِ، وَحِفْظِ نُبُوَّتِهِ مِنْ كُلِّ أَضْمَرَهُ لَها الْكافِرونَ وَالْمُنافِقونَ مِنْ أَذىً وَشَرٍّ.



إِنَّ ما وَجَدَهُ كُفّارُ مَكَّةَ مِنْ دِفاعِ أَبي طالبٍ وَأَوْلادِهِ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ص) جَعَلَهُمْ يهابونَ التَّعَرُّضَ لَهُ بشَكْلٍ مُباشِرٍ، لِذا راحوا يَلْجَأونَ إِلى الأَطْفالِ وَالْغِلْمانِ، فَيُغْرونَهُمْ بِرَمْيِ الحِجارَةِ وَالتُّرابِ عَلى النَّبِيِّ (ص) عِنْدَما يَمُرُّ. وَجاءَ النَّبِيُّ (ص) يَشْكو ذلِكَ إِلى عَلِيٍّ (ع)، فَقالَ لَهُ عَلِيٌّ (ع): «بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي يا رَسولَ اللهِ. إِذا خَرَجْتَ فَأَخْرِجني مَعَكَ».

وَحينَ خَرَجَ النَّبِيُّ (ص) وَأَخْرَجَ عَلِيّاً (ع) مَعَهُ، تَعَرَّضَ لَهُ صِبيانُ مَكَّةَ مِنْ جَديدٍ، فَهَجَمَ عَلَيْهِم عَلِيٌّ (ع) وَراحَ يَقْضِمُهُمْ في وُجوهِهِمْ وَآنافِهِمْ وَآذانِهِمْ وَراحوا يَرْكُضونَ باكينَ إِلى آبائِهِمْ وهُمْ يَصيحونَ: «قَضَمَنا عَلِيٌّ.. قَضَمَنا عَلِيٌّ».

وَاسْتَمَرَّ عَداءُ الْمُشْرِكينَ لِرِسالَةِ مُحَمَّدٍ (ص)، وَاخْتِراعِ السَّبيلِ تِلْوَ السَّبيلِ لِلْقَضاءِ عَلى نورِ النُّبُوَّةِ، فَلَمْ يَزْدَدِ النّورُ إِلاّ تَدَفُّقاً.



مِنْ تِلْكَ الأَساليبِ لُجوؤُهُمْ إِلى أَبي طالِبٍ يَطْلبُونَ مِنْهُ أَنْ يَمْنَعَ الرَّسولَ (ص) مِنْ سَبِّ الآلِهَةِ وَإِنْكَارِ ما وَجَدُوا عَلَيْهِ آباءَهُمْ مِنْ ضَلالٍ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ أَبو طالِبٍ لِدَعْوَتِهِمْ أَبداً، فَانصَرَفُوا يَبْحَثُونَ عَنْ حيلَةٍ أُخْرى.

ثُمَّ راحوا يُهَدِّدونَ وَيَتَوَعَّدونَ، وَيَتَّهِمونَ النَّبِيَّ (ص) بِالسِّحْرِ، ثُمَّ يَرْمونَهُ بِالحِجارَةِ وَالتُّرابِ وَالأَقْذارِ، وَأَخيراً كَتَبوا صَحيفَةَ المُقاطَعَةِ الَّتي جاعَ بِسَبَبِها أَطْفالُ بَني هاشِمٍ، وَضاقَتِ الحَياةُ في وُجوهِ أَبْنائِهِمْ، مِنْ دُونِ أَنْ يَزْدادَ مُحَمَّدٌ (ص) إِلاّ إِصْراراً عَلَى الرِّسالَةِ وَالْهَدْيِ.

وَحَدَثَ بَعْدَ ذلِكَ ما اعْتُبِرَ فَتْرَةً فاصِلَةً في حَياةِ الرِّسالَةِ، وَانعِطافاً مُهِمّاً في حَياةِ النَّبِيِّ (ص)، إِذْ تُوُفِّيَتْ خَديجَةُ الكُبْرى (ع)، وَبَعْدَ فَتْرَةٍ وَجيزَةٍ تُوُفِّيَ أَبو طالِبٍ (ع)، فَغَمَرَ الْحُزْنُ قَلْبَ مُحَمَّدٍ (ص)، وسُمِّيَ ذلِكَ الْعامُ بِعامِ الأَحْزانِ.

وَفَرِحَ الْمُشْرِكونَ بِذلِكَ، وَلَطالَما كانَ أَبو طالِبٍ يُزْعِجُهُمْ بِحِمايَتِهِ لاِبْنِ أَخيهِ، وَرَدْعِهِمْ عَنْهُ كُلَّما نَوَوا أَنْ يُسيئوا إِلَيْهِ.



وَاجْتَمَعَ الْمُشْرِكونَ في دارِ النُّدْوَةِ لِيَدْرسُوا ما يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلوهُ كَيْ يَقْتُلوا مُحَمَّداً (ص) وَيَتَخَلَّصُوا مِنْهُ.

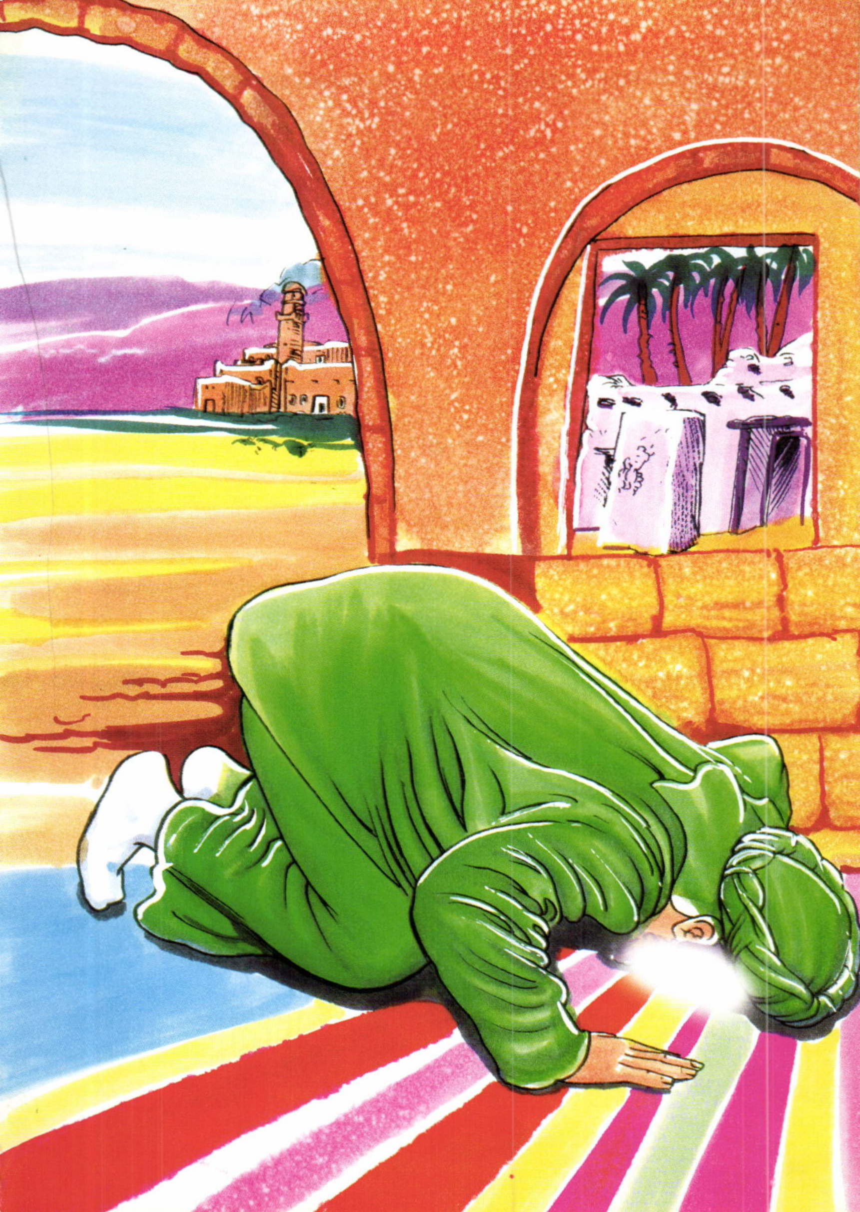
أَخيراً قَرَّروا أَنْ يَهْجُموا عَلَيْهِ في بَيْتِهِ، عَلى أَنْ يَجْمَعوا أَرْبَعينَ رَجُلاً مِنْ أَشْجَعِ الرِّجالِ، كُلُّ رَجُلٍ مِنْ قَبيلَةٍ مِنْ قَبائِلِ قُرَيْشٍ، فَيَقْتُلوهُ مَعاً وَبِهذا يَضيعُ دَمُ مُحَمَّدٍ (ص) وَيَصْعُبُ عَلى بَني هاشِمٍ أَنْ يَطْلُبوا ثَأْرَهُ مِنْ أَرْبَعينَ قَبيلَةً مَعاً.

وَلكِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ أَعْلَمَ نَبِيَّهُ (ص) بِذلِكَ، فَنَزَلَ جِبْرائيلُ (ع) يُحَذِّرُ النَّبِيَّ (ص) وَيَأْمُرُهُ بِالْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلى الْمَدينَةِ.

فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ (ص) إِلى عَلِيٍّ (ع) يُخْبِرُهُ بِذلِكَ وَيَقُولُ لَهُ: «.. وَأَنَّهُ أَمَرَني أَنْ آمُرَكَ بِالْمَبيتِ عَلى مَضْجَعي لِتُخْفِيَ بِمَبيتِكَ عَلَيْهِ أَثَري، فَمَا أَنْتَ قائِلٌ وَصانِعٌ؟».

فَقالَ عَلِيٌّ (ع): «أَوَتَسْلَمَنَّ بِمَبيتي هُناكَ يا نَبِيَّ اللهِ؟».





قالَ النَّبِيُّ (ص): «نَعَم».

فَسُرَّ عَلِيٌّ (ع) بذلِكَ، وَسَجَدَ شاكِراً للهِ سُبْحانَهُ!

وَبَعْدَ أَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ قالَ لِلنَّبِيِّ (ص): «امْضِ لِما أُمِرْتَ، فِداكَ سَمْعي وَبَصَري وسُوَيْداءُ قَلْبي..».

بَعْدَ ذلِكَ قالَ النَّبِيُّ (ص) لِعَلِيٍّ (ع): «فَارْقُدْ على فِراشي وَاشْتَمِلْ بِبُرْدِيَ الْحَضْرَمِيِّ، ثُمَّ إِنِّي أُخبِرُكَ يا عَلِيُّ أَنَّ اللهَ تَعالى يُمْتَحِنُ أَوْلِياءَهُ على قَدْرِ إيمانِهِمْ وَمَنازِلِهِمْ مِنْ دينِهِ، فَأَشَدُّ النّاسِ بَلاءً الأَنْبِياءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ وَقَدِ امْتَحَنَكَ يابْنَ أُمِّ، وَامْتَحَنَني فيكَ بِمِثْلِ ما امْتَحَنَ بِهِ خَليلَهُ إِبْراهيمَ (ع) وَالذَّبيحَ إِسْماعيلَ (ع). فَصَبراً صَبْراً، فَإِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَريبٌ مِنَ الْمُحْسِنين».

ثُمَّ ضَمَّ النَّبِيُّ (ص) عَلِيّاً (ع) إِلى صَدْرِهِ وَبَكَيا مَعاً.

وَقالَ النَّبِيُّ (ص) لِعَلِيٍّ (ع) أَخيراً: «فَإِذا قَضَيْتَ ما أَمَرْتُكَ مِنْ أَمْرٍ فَكُنْ عَلَى أُهْبَةِ الهِجْرَةِ إِلى اللهِ وَرَسولِهِ، وَسِرْ إِلَيَّ لِقُدومِ كِتابي عَلَيْكَ، وَلا تَلْبَثْ بَعْدَه».

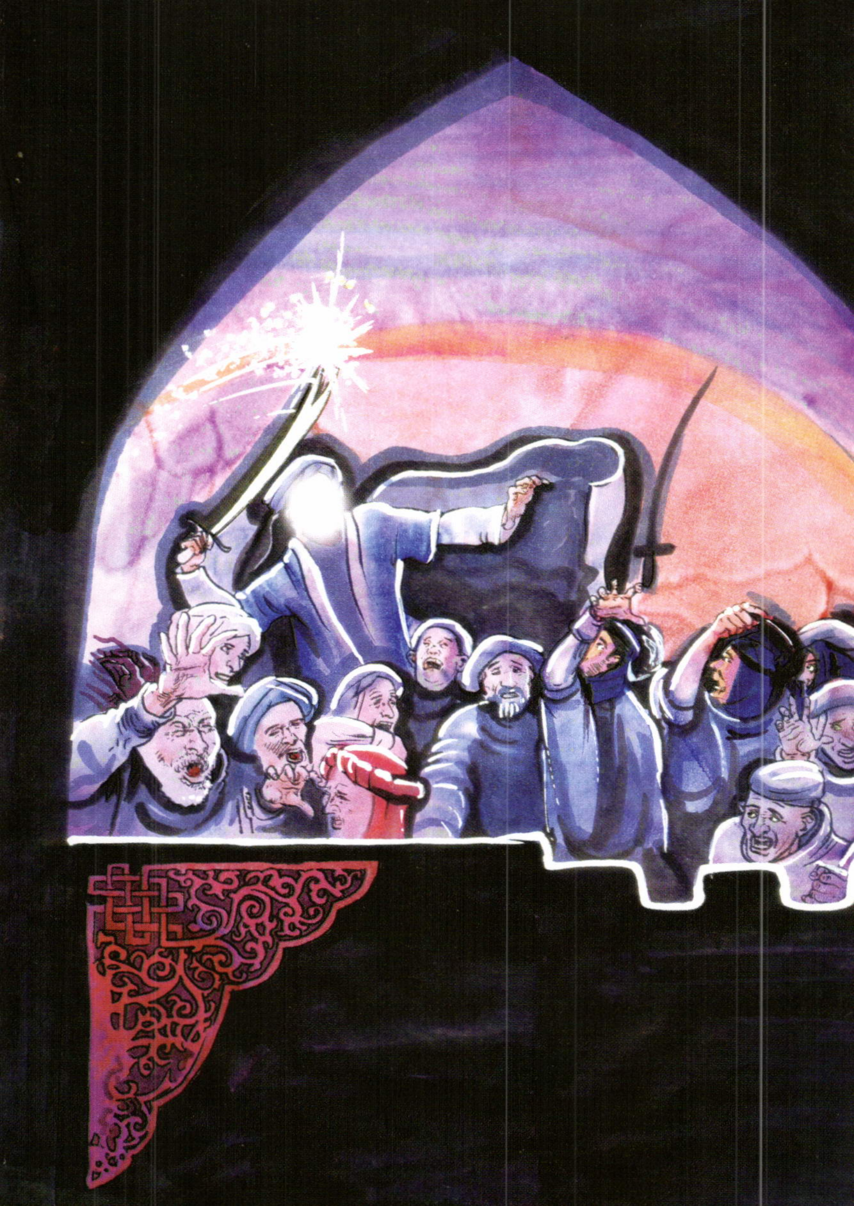


حينَذاكَ انْطَلَقَ النَّبِيُّ (ص) في هِجْرَتِهِ يَحُثُّ خُطاهُ نَحْوَ غارِ ثَوْر.

أَمَّا عَلِيٌّ (ع) فَقَدْ فَعَلَ ما أَمَرَهُ (ص) بِهِ، وَلَبِسَ بُرْدَهُ الْحَضْرَمِيَّ، وَنامَ في فِراشِهِ، ووَصَلَ مُشْرِكو قُرَيْش وكُفَّارُها يُريدونَ قَتْلَ النَّبِيِّ (ص)، وَراحوا يَرْمونَ عَلِيّاً (ع) بِالْحَصَى وَكُلُّ ظَنِّهِمْ أَنَّهُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ (ص)، فيما ظَلَّ عَلِي (ع) صامِتاً لا يَتَكَلَّمُ رَغْمَ آلامِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْرِفوهُ فَيَنْطَلِقوا خَلْفَ مُحَمَّدٍ (ص) قَبلَ أَن يَصِلَ إِلى مَأْمَنِه.

وَظَلَّ الْمُشْرِكونَ يَنْتَظِرونَ انْبلاجَ الْفَجْرِ لِيَشْهَرُوا سُيوفَهُمْ، وَكانَ مِنْ بَيْنِهِمْ خالِدُ بْنُ الوَليدِ. وَأَخيراً حانَ مَوْعِدُ تَنْفيذِ ما جاؤوا لأَجْلِهِ، فَقالَ لَهُمْ أَبو جَهل: «لا تَقَعوا بِهِ وَهُوَ نائِمٌ لا يَشْعُرُ، ولكِن ارْموهُ بِالأَحْجارِ لِيَنْتَبِهَ بِها ثُمَّ اقْتُلوهُ، أَيْقِظوهُ لِيَجِدَ أَلَمَ القَتْلِ، وَيَرى السُّيوفَ تَأْخُذُه».

وَراحوا يَرْشُقونَهُ بِالْحِجارَةِ مِنْ جَديدٍ، ثُمَّ هَجَموا عَلَيْهِ بِسُيوفِهِمْ، وَعَلى رَأْسِهِمْ خالِدُ بْنُ الوَليدِ، وَهَبَّ الإِمامُ عَلِيٌّ (ع) مِنْ فِراشِهِ، وَأَخَذَ سَيْفَ خالِدٍ مِنْ يَدِهِ



ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمْ، فَارْتاعوا وَراحوا يَرْكُضونَ فارّينَ، وَقَدْ حَدَّقَ بَعْضُهُمْ نَحْوَهُ، فَعَرَفوا أَنَّهُ عَلِيٌّ (ع).

في تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَوْحى اللهُ تَعالى إِلى مَلَكَيْنِ مِنْ مَلائِكَتِهِ المُقَرَّبينَ هُما جِبريلُ وَميكائيلُ: إِنّي قَضَيْتُ عَلى أَحَدِكُما بِالْمَوتِ، فَأَيُّكُما يَفْدي صاحِبَهُ، فَاخْتارَ كُلٌّ مِنْهُما الْحَياةَ. فَأَوْحى إِلَيْهِما: هَلاّ كُنْتُما كَعَلِيٍّ بْنِ أَبي طالِبٍ. آخَيتُ بَينَهُ وَبَينَ مُحَمَّدٍ، وَجَعَلْتُ عُمْرَ أَحَدِهِما أَطْوَلَ مِنْ عُمْرِ الآخَرِ، فَاخْتارَ عَلِيٌّ المَوْتَ وَآثَرَ مُحَمَّداً بِالْحَياةِ وَنامَ في مَضْجَعِهِ، اهْبِطا فَاحْفَظاهُ مِنْ عَدُوِّهِ.

فَهَبَطا يَحْرُسانِهِ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَهُوَ لا يَعْلَمُ. وَجِبْريلُ يَقولُ: «بَخٍ بَخٍ لَكَ يابْنَ أَبي طالِبٍ. مَنْ مِثْلُكَ يُباهي بِهِ اللهُ مَلائِكَةَ سَبْعِ سَمواتٍ!».

إِنَّ ذلِكَ المَوْقِفَ مِنَ الإِمامِ عَلِيٍّ (ع) نَحْوَ ابْنِ عَمِّهِ النَّبِيِّ (ص) لَجَديرٌ بِإِعْجابِ كُلِّ مَن سَمِعَ بِهِ وَإِكْبارِهِ وَتَقْديرِهِ. وَلَقَدْ نَزَلَ جِبْريلُ (ع) صَبيحَةَ يَوْمِ الْغارِ إِلى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ص) الَّذي قالَ لَهُ: «حَبيبي جِبْرَئيلُ أَراكَ فَرِحاً».



فَقالَ: «يا مُحَمَّدُ وَكَيفَ لا أَكونُ كَذلِك وَقَدْ قَرَّتْ عَيني بِما أَكْـرَمَ اللهُ بِـهِ أَخـاكَ وَوَصِـيَّـكَ وَإِمـامَ أُمَّـتِـكَ عَـلِـيَّ بْـنَ أَبـي طالِبٍ(ع)».

فَقالَ النَّبِيُّ (ص): «بِماذا أَكْرَمَهُ اللهُ؟».

فَقالَ: «باهى بِعِبادَتِهِ البارِحَةَ مَلائِكَتَهُ»، وَقالَ: «مَلائِكَتي! انْظُروا إِلى حُجَّتي في أَرْضي بَعْد نَبِيّي وَقَدْ بَذَلَ نَفْسَهُ، وَعَفَّرَ خَدَّهُ في التُّرابِ تَواضُعاً لِعَظَمَتي، أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُ إِمامُ خَلْقي وَمَوْلى بَرِيَّتي».

ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ تَعالى في تِلْكَ الْحادِثَةِ الآيَةَ الْقُرْآنِيَّةَ الْكَرِيمَةَ:

﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْري نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاةِ اللّهُ وَاللهُ رَؤوفٌ بِالْعِبادِ﴾.

وَظَلَّ الإِمامُ عَلِيٌّ (ع) في مَكَّةَ بَعْدَ ذلِكَ، إِلى أَنْ وَصَلَهُ كِتابُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ص) الَّذي أَمَرَهُ فيهِ بِأَنْ يَسيرَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ يُؤَدّيَ الْوَدائِعَ وَالأَماناتِ إِلى أَهْلِ قُرَيشٍ وَقَدْ كانُوا أَوْدَعوها عِنْدَ مُحَمَّدٍ (ص)، فَرَغْمَ عَدائِهِمْ لِلنُّبُوَّةِ وَلِمُحَمَّدٍ (ص) إِلاّ أَنَّهُمْ لَمْ يَأْمَنوا سِواهُ عَلى أَمْوالِهِمْ. وَرَغْـمَ ما فَعَلوهُ وَما أَبْدوه



نَحْوَهُ مِنْ كَراهِيَةٍ لَم يُفَرِّطْ في حِفْظِ هذِهِ الأَماناتِ ذَرَّةً. لِذا كانَتْ أُولى وَصاياهُ إِلى عَلِيٍّ (ع) بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلى الْمَدينَةِ أَنْ يُعيدَ هذِهِ الأَماناتِ إِلى أَصحابِها.

فَراحَ الإِمامُ عَلِيٌّ (ع) يُؤَدِّيها، وَحينَ أَنْهى عَمَلَهُ، قامَ عَلى الكَعْبَةِ وَنادى بِصَوتٍ عالٍ: «يا أَيُّها النّاسُ هَلْ مِنْ صاحِبِ أَمانَةٍ؟ هَلْ مِنْ صاحِبِ وَصِيَّةٍ؟ هَلْ مَنْ لَه عِدَةٌ قِبَلَ رَسولِ اللهِ؟».

وَحينَ لَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ لَحِقَ (ع) بِالنَّبِيِّ (ص) بَعْدَ أَنْ خَرَجَ ضُعَفاءُ الْمُؤْمِنينَ مُتَسَلِّلينَ مُتَخَفِّينَ يَسْبِقونَهُ.

وَكانَ خُروجُ عَلِيِّ بْن أَبي طالِبٍ (ع) في قافِلَةٍ حَمَلَتْ فاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ (ص) وَأُمَّهُ فاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدِ بْن هاشِمٍ، وَفاطِمَةَ بِنْتَ الزُّبَير بْن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَقَدْ أَوْصى عَلِيٌّ (ع) مَنْ كانَ يَسوقُ القَوافِلَ بِأَنْ يَرْفِقَ بِالنِّساءِ.

وَخِلالَ الطَّريقِ لَحِقَ كُفّارُ مَكَّةَ بِالإِمامِ عَلِيٍّ (ع) مُحاوِلينَ ثَنْيَهُ عَن الْمُضِيِّ مُهَدِّدينَ بِالسُّيوفِ، فَحَمَلَ الإِمامُ عَلِيٌّ (ع) سَيْفَهُ وَشَدَّ عَلى الْقَوْمِ حَتّى قَتَلَ أَحَدَهُمْ...



فَفَرَّ الْمُعْتَدُونَ جَميعاً لا يَلْوونَ عَلى شَيْءٍ، وَقَدْ صاحَ بِهِمُ الإمامُ عَلِيٌّ (ع) : «فإِنّي مُنْطَلِقٌ إِلى ابْنِ عَمّي رَسولِ اللهِ(ص) بيَثْرِبَ، فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ أَفْرِيَ لَحْمَهُ وَأُهْرِقَ دَمَهُ فَلْيَتْبَعْني، أَوْ فَلْيَدْنُ مِنّي».

في ذلِكَ الْوَقْتِ كانَ النَّبِيُّ (ص) قَدْ وَصَلَ إِلى قُباءَ خارِجَ الْمَدينَةِ، وَهناكَ بَقِيَ يَنْتَظِرُ قُدومَ عَلِيٍّ (ع) وَمَعَهُ صاحِبُهُ أَبو بَكْرِ بْنُ أَبي قُحافَةَ، الَّذي قالَ لَهُ: «إِنهَضْ بِنا إِلى الْمَدينَةِ، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ فَرِحوا بِقُدومِكَ، وَهُمْ يَسْتَريثُونَ إِقْبالَكَ إِلَيْهِمْ، فَانْطَلِقْ بِنا وَلا تَقُمْ ها هُنا تَنْتَظِرُ عَلِيّاً، فَما أَظُنُّهُ يَقْدُمُ إِلَيْكَ قَبْلَ شَهْرٍ».

فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ (ص): «كَلا، ما أَسْرَعَهُ وَلَسْتُ أَريمُ حَتّى يَقْدُمَ ابْنُ عَمّي وَأَخِي في اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَحَبُّ أَهْلِ بَيْتي إِلَيَّ، فَقَدْ وَقاني بِنَفْسِهِ مِنَ الْمُشْرِكينَ».

وَأَقامَ النَّبِيُّ (ص) خارِجَ يَثْرِبَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً في انْتِظارِ عَلِيٍّ (ع)، وَجاءَ وَقَدْ تَفَطَّرَتْ قَدَماهُ، وَسالَتْ مِنْهُما الدِّماءُ، فَاعْتَنَقَهُ النَّبِيُّ (ص) وَبَكى لَمّا رَأى قَدَمَيْهِ ثُمَّ تَفَلَ في يَدَيْهِ

